

تحليل مورفولوجي للنظرية الاجتماعية في بحوث المجتمع الافتراضي العربية مقاربة نقدية بمنهجية التحليل الثانوي

د. وليد رشاد زكي - المركز القومي للبحوث

الاجتماعي والجنائية- مصر

البريد الإلكتروني Walid489@hotmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلي التعرف علي مكانة النظرية الاجتماعية في بحوث الإنترنت والمجتمع الافتراضي؛ اعتمادا علي منهجية التحليل الثانوي والمقاربة النقدية. وطبقت الدراسة علي عينة من بحوث المجتمع الافتراضي من بعض الدوريات العلمية العربية المحكمة في العلوم الاجتماعية، شملت هذه الدوريات ست دول عربية، وبلغ حجم الدراسات التي تم تحليلها ثلاثون دراسة. واعتمد تحليل النتائج علي عدة مرجعيات تمثلت في التحليل المورفولوجي لشكل وبنية النظريات المستخدمة في تلك البحوث، والتعرف علي مستوي التحليل النظري سواء علي المستوي الماكرو أو الميكرو، والوقوف علي مدي ملائمة المناهج المتبعة في هذه الدراسات مع المداخل النظرية، ومدي الاعتماد علي النظرية في تحليل وتفسير النتائج، ومدي أصالة المراجع المستخدمة في توثيق النظريات. كما قدمت الدراسة في نتائجها لمقاربة نقدية لمكانة النظرية في إطار الدراسات العربية التي تم تحليلها.

الكلمات المفتاحية: النظرية الاجتماعية، المجتمع الافتراضي، التحليل الثانوي، المقاربة النقدية

Morphological analysis of social theory in the Arab virtual . community research A critical approach methodology secondary analysis

Abstract :

This study aims to identify the status of social theory in Internet research and virtual community; depending on the methodology of the secondary analysis and critical approach. The study relied on the sample to research virtual community in some scientific journals Arab in the social sciences, these journals included six Arab countries, and the volume of studies that have been analyzed thirty study. And it adopted the analysis of the results on a number of references was the analysis of morphological form and structure of the theories used in this research, to identify the level of theoretical analysis, whether on the macro, micro, and identify on the appropriateness of the methods used in these studies with approach

theory, and the reliability of the theory to the analysis and interpretation results, the extent of the authenticity of references used in documenting theories. The study also provided the results of the critical approach to the status of theory in the framework of the Arab studies that have been analyzed.

Keywords: social theory, secondary analysis, critical approach.

مقدمة

تشهد النظرية الاجتماعية تحولات مورفولوجية في الشكل والبنية، كما يشهد الواقع علي انهيار للسرديات الكبرى في علم الاجتماع في ظل المتغيرات العالمية الجديدة. وقد بدت مستويات جديدة من التنظير علي الساحة الاجتماعية ارتبط بعضها بخطاب المابعديات مثل ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية وما بعد الصناعة ... وغيرها، وبعضها سعي صوب تحليل المجتمع علي المستوي الميكرو، والأخر ذهب إلي تفسر المجتمع علي المستوي الماكرو، بل واتسع التفسير ليصل إلي تحليلات المجتمع علي المستوي العالمي. ومما لاشك فيه أن تنامي النظريات الاجتماعية الصغرى ومقولاتها وانهيار الاتجاهات الكبرى ارتبط بتحولات مجتمعية منها ظهور الفضاء السيبري الذي تشكل بفضل الإنترنت والذي أفرز المجتمع الافتراضي بثقافته السيبرية. احتاج هذا المجتمع الجديد إلي أطر تفسيرية وبراديم جديد للنظرية الاجتماعية يفسر ما يحدث داخل المجتمع الشبكي.

وينطلق البحث الحالي من تنبي رؤية للنظرية الاجتماعية علي أنها مجموعة من الأطر التفسيرية التي تقدم تحليل للواقع الاجتماعي ، وكلما اقتربت النظرية من القدرة علي تفسير الواقع كلما اقتربت من الصحة، ومصداقياتها بالنسبة للواقع تقتضي أن تكون القضايا المستنبطة من تلك المبادئ مطابقة للأحداث وللمعطيات الواقعية. أما إذا ظهرت علي العكس من ذلك وبدت تناقضات بين الواقع والنظرية، فلا بد من مراجعة أحدهما: إما أن الملاحظة كانت مختلة ، وإما أن المبادئ النظرية هي التي تنطوي علي خطأ ما، لذلك لا تكون النظرية أبدا بالقياس إلي الواقع سوي فرضية لاغير 1 .

من هذا المنطلق يحاول هذا البحث الوقوف علي طبيعة استخدام النظرية الاجتماعية في دراسات المجتمع الافتراضي بالتطبيق علي بعض الدراسات المنشورة في بعض الدوريات العربية ، وذلك من خلال منهجية التحليل الثانوي واعتماداً علي المقاربة النقدية، وذلك للتعرف علي مدي قدرة التفسيرات النظرية في الدراسات العربية علي وصف وتفسير ما يحدث داخل تفاعلات المجتمع الافتراضي، كما يحاول البحث الراهن الإجابة علي سؤال مؤداه هل نجحت الدراسات العربية في استخدام النظريات المناسبة في تحليل واقع المجتمع الشبكي العربي؟.

أولاً : إشكالية البحث وأهدافه:

يعرض هذا المحور لثلاثية المشكلة البحثية والأهمية والأهداف وذلك من خلال السياق التالي :

1- مشكلة البحث :

للمشكلة البحثية نوافذ عديدة جميعها تطل علي السؤال البحثي. وبطبيعة الحال يصعب علينا المضي في سبيل المشكلة البحثية دون الحديث عن أبرز التحولات التي طرأت علي النظرية الاجتماعية في ظل بزوغ الإنترنت وتفاعلات المجتمع الافتراضي؛ إذ أن هذه التحولات تعد جزءاً أصيلاً في صياغة المشكلة البحثية، ولا يسعنا المقام هنا إلي سردها كلها ولكن سوف يتم التركيز علي جلها؛ وذلك من خلال التأكيد علي ثلاث مقولات أساسية :

أ: انهيار السرديات الكبرى في النظرية الاجتماعية : ارتبط التنظير الاجتماعي في بداياته بالدولة القومية، وبالانساق الكلية، إلا أنه بدأ يتأرجح الآن بين موقفين، الأول تفكيكي: يميل إلي إلغاء النسقية بصورة كاملة، ويدرك الموضوعات والواقع في تجزؤه بذاته، وهذا التجزؤات المفككة باتت مستقلة في حد ذاتها. وفي المقابل من ذلك نجد الموقف الثاني يعبر عن النسقية العالمية: فالعولمة ووسائل الاتصال الحديثة أفرزت نسقية عالمية، دفعت هذه النسقية الجديدة إلي تغيرات جذرية في التنظير الاجتماعي بالشكل الذي أضحت فيه بعض النظريات تتحرك علي مرجعية عالمية وخصوصاً نظريات المجتمع الافتراضي، ذلك المجتمع الذي يتعامل بالأساس مع نسقية تتأرجح بين العالمية والمحلية. وهنا تكشف التحليلات النظرية إلي حقيقة مؤداها ضرورة عدم اغفال هذا التأرجح عند الولوج إلي المجتمع الافتراضي وما يحدث داخل تفاعلاته التي تتم علي خلفية السياق العالمي والمحلي².

ب: التحول إلي المجتمع الشبكي: ولعل المتأمل لخرائط النظرية السوسيولوجية في علاقاتها بالإنترنت يدرك أن هناك تحول في التفسيرات نحو المجتمع الشبكي، ولعل هذا ما حدا باليسون كافاناچ Allison Cavanagh إلي الذهاب في مؤلفه علم الاجتماع في عصر الإنترنت بالتأكيد علي أن ثمة تحولات في بنية النظرية الاجتماعية ذاتها في علاقاتها بالمجتمع الافتراضي، واجتهد في تفسير كيف أن التفسيرات التقليدية المرتبطة بالبنية لم تستطع أن تفسر بنية التحولات الافتراضية، وأشار إلي أن الأزمة النظرية أدت أيضاً إلي أزمة منهجية، الأمر الذي دفع إلي اجتهادات غريبة وتنظير جديد مرتبط بالمجتمع الشبكي³. ولقد ارتبط تنظير المجتمع الشبكي بتجليات ما بعد الحداثة بالدرجة التي دعا فيها بعض الباحثين إلي القول بأن الإنترنت هو أداة من أدوات ما بعد الحداثة، كما وصمت ثقافته بأنه ثقافة ما بعد حداثية. وثمة مغالطتين مرتبطتين بتفسيرات الإنترنت لدي البعض في توجهات ما بعد الحداثة ترتبط الأولى بإلقاء الضوء علي الإنترنت كظاهرة اجتماعية حديثة تعيش حالة من القطيعة مع الماضي التنظيري، والثانية تتمثل في النظر إلي التكنولوجيا بشكل عام كقوة مستقلة عن المجتمع؛ فالواقع أن الإنترنت في حد ذاته يتم النظر إليه علي أنه ظاهرة اجتماعية، وأن التكنولوجيا التي قدمت الإنترنت تعد جزء من المجتمع⁴.

ج: الاستساخ الذاتي للنظام الاجتماعي: تتجه معظم الأطر التفسيرية الآن إلي الحديث عن فكرة الذات في علاقاتها بالمجتمع الافتراضي، الأمر الذي يؤكد علي حضور النرجسية الفردية في التنظير الجديد للمجتمع الافتراضي. ويمكن الاستشهاد هنا بما ذهب إليه مانويل كاستيلز عندما تحدث في مؤلفه عن فكرة الشبكة والذات حيث أشار إلي أن ثمة أشكال من العزلة ظهرت بسبب الاتصالات وعلي رأسها الإنترنت، فهناك ثنائية قطبية بين الشبكة والذات؛ نتجت هذه الثنائية عن تفكك العلاقة بين الذات والمجتمع⁵. وفي مؤلفه حول الإنترنت والنظرية الاجتماعية أتجه كريستيان فيكو Christian Funchs (2008) إلي فكرة التنظيم الذاتي الاجتماعي Social self-organization حيث أشار إلي أن المجتمع عبارة عن نظام مرجعي ذاتي من الاتصالات، وأشار إلي مفهوم الذات المرجعية، حيث تم إعادة إنتاج النظام الاجتماعي ليصبح نظاماً ذاتياً. فلا يمكن تفسير ما يحدث داخل الإنترنت دون ثنائية النظر إليه بوصفه نظام اجتماعي ولكن للأفراد أيضاً مكانة أساسية داخله. وحقيقة الأمر أن فكرة التنظيم الذاتي تعني الاستساخ الذاتي للنظام الاجتماعي، فالتنظيم الذاتي ينظر إلي النظم الاجتماعية بوصفها كيانات دينامية وليست مغلقة، وأن هناك إعادة إنتاج لفكرة المجتمع علي نحو ذاتي⁶.

إن المتأمل واقع الدراسات الغربية في تعاملها مع موضوعات وقضايا المجتمع الافتراضي؛ يدرك مدي الوعي بهذه التحولات النظرية بالشكل الذي نجد فيه تحولاً في التنظير وتأرجحاً بين المستويين الماكرو والميكرو. إلا أننا نلاحظ أيضاً - في بعض الأحيان - في كلاً من الدراسات العربية والغربية ردة نظرية؛ تريبو إلي ما يبررها تارة وتتأني عن القصد تارة أخرى؛ فهناك منظرين يعتمدون في بعض بحوث المجتمع الافتراضي علي بعض النظريات التقليدية، ومنهم من يحاول أن يسحب بعض النظريات الاجتماعية من السياق الواقعي إلي السياق الافتراضي. ونضرب علي ذلك مثال: فقد نجد أن باحثاً مثل دالبرج Dallberg يسحب نظرية المجال العام من السياق الواقعي ويتحدث عن المجال العام الافتراضي Virtual public sphere، كما تراه يذهب في بعض التفسيرات إلي الماركسية الجديدة عبر الإنترنت⁷. والمقصود من هذا الشاهد أن هناك محاولات تنظيرية موازية لتنظيرات الواقع. ولكننا نلاحظ أيضاً استقلالية نظرية - إلي حد كبير - لتفسير تفاعلات المجتمع الافتراضي مثلما نجد علي سبيل المثال في تحليلات مانويل كاستيلز.

والمدرک أيضاً للأطر التفسيرية خصوصاً في بحوث علم الاجتماع يجد أن بعض الباحثين يعتبرون مجال المجتمع الافتراضي من التخصصات البيئية، فهناك ثمة قنوات من أن هذا المجال يجمع بين التقنية والتكنولوجيا والإعلام وعلم الاجتماع. من هذا المنطلق لا نعجب عندما يقود البحث في علم الاجتماع نظرية إعلامية في التفسير، أو نظرية مرتبطة بالتأثيرات التقنية علي المجتمع.

يقدم البحث الراهن بالأساس تحليل لوضع النظرية الاجتماعية في بحوث المجتمع الافتراضي اعتماداً علي بعض الدوريات العربية في علم الاجتماع؛ وذلك بالاستناد علي منهجية التحليل الثانوي، تلك المنهجية التي تعيد إنتاج ما تم كتابته بطرق جديدة، وكذلك استناداً علي المقاربة النقدية في التحليل. ومن هنا يمكن بلورة المشكلة البحثية في تساؤل مؤداه ما مكانة النظرية الاجتماعية في بحوث المجتمع الافتراضي في بعض الدوريات العربية؟

2- أهمية البحث وأهدافه :

تتعلق أهمية البحث الراهن من التعرف على مسار التراث العربي في موضوع المجتمع الافتراضي بشكل عام ، والمرجعيات النظرية المتبعة بشكل خاص، بالشكل الذي قد يسهم في تقديم صورة نقدية عن الأطر النظرية قد تسهم هذه الصورة في تقديم استبصارات مستقبلية مهمة، والتعرف على طبيعة الأطر التفسيرية لسياقات المجتمع الافتراضي . كما تتجلى أهمية البحث الراهن في محاولة الإجابة على تساؤلات منها: ما مدي ملائمة الأطر النظرية الغربية في تفسير تفاعلات المجتمع الافتراضي علي الأصعدة العربية الكلية أو المحلية ؟ ومدي قدرة الباحثين العرب في التعاطي مع متغيرات النظرية الاجتماعية الجديدة في بحوث المجتمع الافتراضي؟ لعل هذه التساؤلات في حد ذاتها تعد من كواليس أهمية البحث الراهن.

يتبلور الهدف الرئيسي في البحث الراهن في التعرف على مكانة النظرية الاجتماعية في بحوث المجتمع الافتراضي بالتطبيق علي بعض الدراسات من بعض الدوريات العربية، وذلك من خلال استخدام منهجية التحليل الثانوي والمقاربة النقدية؛ ولتحقيق هذا الهدف يمكن الاستناد إلي الأهداف الفرعية التالية :

أ: التعرف علي مورفولوجية النظرية في الدراسات العلمية ، بالتطبيق علي بعض الدوريات العربية المتخصصة في العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلم الاجتماع بشكل خاص.

ب: التعرف علي مستوي تحليل الأطر النظرية في بعض الدوريات العربية سواء علي المستوي الماكرو أو الميكرو.

ج: التعرف علي مدي انعكاس النظرية الاجتماعية علي مراحل البحث في المجتمع الافتراضي وخصوصاً اختيار المنهج وتحليل النتائج وتفسيرها .

د: الوقوف علي مصادر ومراجع النظرية الاجتماعية المستخدمة في بحوث المجتمع الافتراضي ومدي أصالتها، من حيث كونها مصادر أساسية أم فرعية .

هـ: محاولة الخروج برؤية حول تطوير المرجعيات النظرية المتبعة في بحوث المجتمع الافتراضي، وذلك اعتماداً على المقاربة النقدية.

ثانياً : منهجية البحث :

يقدم هذا المحور للإجراءات المنهجية المتبعة في الدراسة الحالة , وطرق اختيار الدراسات التي سيتم تحليلها , وذلك من خلال السياق التالي:

منهجية التحليل الثانوي Secondary Data Analysis Method : " تعتبر الدراسات التجريبية معيار الذهب للبحث الذي يسعى إلى ربط النتائج مع بعضها " هكذا ذهبت مارسيا فينلاسون Marcia Finlayson في حديثها عن منهجية التحليل الثانوي⁸. وبطبيعة الحال فإن المنهجية ترتبط بطبيعة موضوع البحث, وطالما أن البحث يعكف علي تحليل الأطر النظرية المستخدمة في بحوث المجتمع الافتراضي, فإن هذه المنهجية قد تكون الأكثر ملائمة مع الموضوع. وبنظرة واقعية يمكن الاعتراف بأن هناك ندرة في الأدبيات التي استندت علي التحليل الثانوي, وقلة في منهجيات البحث المرتبطة بها. وبأطلالة تليغرافية يمكن وصف منهجية التحليل الثانوي بأنها منهجية بحثية يقوم فيها الباحث باستعمال البيانات التي تم جمعها من قبل أشخاص آخرين لغرض آخر. ولعل هذه المنهجية تكشف عن ميزة وعثرة, أما الميزة: فإن الدراسات التي تعتمد علي التحليلات الثانوية توفر في ثلاثية الوقت والمال والجهد, فالبحوث السابقة تعد مدخرات ضخمة يمكن أن يقوم الباحث بتحليل بياناتها والخروج باستنتاجات حولها, وأما العثرة: والتي يجب أن نكون علي وعي بها قبل الخوض في الدراسة بهذه المنهجية؛ فتتمثل في طبيعة البيانات المرتبطة بالتحليل الثانوي حيث أن البيانات ترتبط في جميعها بمجال جغرافي معين ومجال بشري معين ربما لا يكون الباحث مهتم بدراساتها وتؤثر هذه المجالات بطبيعة الحال علي النتائج, وهنا نؤكد أننا علي وعي بأن هذه العثرة قد تتحكم في المرجعيات النظرية وخصوصاً علي المستوي الميكرو⁹. وباستطلاع مجموعة من الأدبيات يمكن الكشف عن التكنيك المستخدم في الدراسة الحالية والذي يرتبط بالأساس بعدة خطوات: أولها : تحديد سؤال البحث وبدقة, وثانيها : تحديد موقع مصادر البيانات المحتملة, وثالثها : اختيار البيانات التي سيتم تحليلها, ورابعها تحليل البيانات .

1- **المقاربة النقدية علي خلفية التحليل الثانوي:** اتساقاً مع أهداف البحث فإن ثمة منهجية مساندة للتحليل الثانوي تأتي خلفها كترديد منهجي وهي المقاربة النقدية critical approach. ولعل المقصود من هذه المقاربة أن ننأى بالتحليل من مجرد سرد لواقع النظرية الاجتماعية في بحوث الإنترنت؛ إلي كونه تحليل يقدم محاولة لتقييم التوجهات الفكرية والنظرية المستخدمة في بعض البحوث العربية. ويمكن في هذا الشأن التأكيد بما ذهب إليه رودني هارسون Rodney Harrison (2013) من أن المقاربة النقدية مهمة عند دراسة الأدبيات أو التراث البحثي حول ظاهرة ما, حيث تقوم الاتجاهات النقدية علي تجميع تراث معين من الماضي, ومحاولة إعادة قراءته في ضوء عناصر الثقافة القائمة. وتتأتى أهمية هذه المقاربة في التعرف علي مدي تنوع الأفكار ومصداقيتها وعلاقتها بالثقافة¹⁰. وتواصلت مع ما قد طرح فإن هناك العديد من الكتابات حول المقاربات النقدية في مجتمع الإنترنت, فقد ذهبت إحدى الدراسات إلي حقيقة مؤداها: " عند تقييم بحوث الإنترنت لا بد من مراعاة فكرة الديناميكية علي اعتبار أن الإنترنت بالأساس عبارة عن نظام ذاتي, وثانيها ضرورة النظر إلي الإنترنت علي أنه نظام اجتماعي يضم مجموعة من الوصلات الاجتماعية

أكثر من كونه يضم مجموعة من الوصلات الإلكترونية¹¹. وفي هذا السبيل يمكن أن نعتبر المقاربة النقدية مكملة ومساندة لمنهجية التحليل الثانوي.

2- **عينة البحث وخرائط التحليل الثانوي** : ترتبط عينة البحث بمسارات التحليل الثانوي وتشتبك مع الهدف الأساسي من الدراسة وهو التعرف علي وضع النظرية الاجتماعية وطبيعة الاعتماد عليها في بحوث المجتمع الافتراضي بشكل خاص والإنترنت بشكل عام. وفي هذا السبيل تم الاعتماد علي عينة من الدراسات العربية من بعض الدوريات العلمية المحكمة غطت مجموعة من الدول العربية. وتعد هذه العينة عمدية نظراً لعدم الاعتماد علي إطار محدد لسحب العينة، وثمة مجموعة من الخطوات تمت للخروج برسم خريطة التحليلات الثانوية ، وقد جاءت هذه الخطوات علي النحو التالي :

أ: حصر الدوريات العربية : عكف الباحث في البداية علي حصر الدوريات العربية في علم الاجتماع والتي زادت عن الأربعمائة دورية عربية، وحصل عليها من خلال مواقع البيلوجرافيا الاجتماعية. إلا أن هذه البيلوجرافيا اعتمد عليها الباحث في اختيار العينة المتاحة والتي تمثل عدد من الدول العربية، ولم يعتبر الباحث هذه البيلوجرافيات إطاراً لسحب عينة عشوائية نظراً لعدم توفر العديد من هذه الدوريات أمام الباحث.

ب: مجال التحليل الثانوي : يتركز مجال التحليل الثانوي علي التوجهات النظرية لجميع الدراسات المرتبطة بالمجتمع الافتراضي بشكل خاص والإنترنت بشكل عام، من الدوريات التي تم اختيارها ، ولعل هذا المجال ينطلق من فرضية البحث الأساسية في التعرف علي وضعية النظرية الاجتماعية في البحوث المرتبطة بالمجتمع الافتراضي.

ج:المجال الجغرافي للعينة المختارة : عند اختيار الدراسات التي ستخضع للتحليل الثانوي روعي أن تغطي عدد من الدوريات البارزة علي الصعيد العربي، فلقد شملت الدوريات ست دول عربية وهم مصر والجزائر ولبنان والأردن والبحرين والسعودية .

د: المجال الزمني للتحليل : لعل دقة البحث تستدعي تحديد الفترة الزمنية للدراسات التي تم جمعها؛ وقد تحددت في الدراسات التي نشرت منذ عام 2011 إلي الأعداد التي صدرت- من بعض الدوريات - عام 2016. ويتأتى اختيار هذه الفترة لاعتبارات أهمها أنها صدرت إبان وبعد ثورات الربيع العربي؛ تلك الثورات التي لعب الإنترنت دوره البارز فيها، الأمر الذي دفع بالعديد من الأعلام والباحثين في مجال علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية للحديث عن الدور والإسهام الذي لعبه الإنترنت في تحولات المجال العام العربي.

هـ: طبيعة الدوريات : روعي في اختيار الدوريات التي يتم تحليلها أن تكون دورية علمية محكمة ، تصدر بشكل منتظم.

و: تخصص الدراسات : روعي عند اختيار الدراسات التي سيتم تحليلها أن تكون الدراسات في تخصص علم الاجتماع والإعلام، وذلك علي اعتبار أن هذا النمط من الدراسات كما تم الإشارة من قبل يخضع ضمن التخصصات البينية، فهناك العديد من الدراسات في علم الاجتماع تستخدم مداخل إعلامية والعكس يحدث أحياناً ، من هنا فقد يصعب الفصل بين الدراسات الإعلامية والاجتماعية.

ز:روعي في الدراسات التي سيتم تحليلها أن تكون الدراسة موجودة كاملة وألا تكون مجرد عرض تلخيصي، حتي يتمكن الباحث من قراءة الخطابات المتعددة داخل أروقة الدراسة

ح: وصف العينة: تم تحليل الإطار النظري في ثلاثون دراسة عربية من سبعة دوريات في العلوم الاجتماعية , ويعرض الجدول التالي للدوريات وعدد الدراسات التي طرحت من خلالها :

جدول (1)

الدوريات وعدد الدراسات التي تم إخضاعها للتحليل الثانوي مرتبة حسب عدد الدراسات

اسم الدورية	بلد النشر	جهة النشر	عدد دراسات الإنترنت
مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية	الجزائر	جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي	11
المجلة العربية لعلم الاجتماع	مصر	مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - جامعة القاهرة	4
مجلة إضافات	لبنان	مركز دراسات الوحدة العربية	4
المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية	الأردن	الجامعة الأردنية	4
المجلة الاجتماعية القومية	مصر	المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية	3
مجلة العلوم الاجتماعية	السعودية	جامعة أم القرى	3
مجلة العلوم الإنسانية	البحرين	جامعة البحرين	1

يشير الجدول إلى عناوين الدوريات وعدد الدراسات التي تم تحليلها، وقد تبين من الجدول أن مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية جاءت في المرتبة الأولى في عدد الدراسات المرتبطة بالإنترنت والمجتمع الافتراضي حيث بلغ عدد بحوث الإنترنت والمجتمع الافتراضي فيها إحدى عشر دراسة، وهي دورية محكمة تصدرها جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي وهي مجلة تلت سنوية . في حين شملت المجلة العربية لعلم الاجتماع علي أربع دراسات وهي دورية علمية نصف سنوية محكمة تصدر من مركز البحوث والدراسات الاجتماعية عن كلية الآداب جامعة القاهرة، أما مجلة إضافات فقد جاء بها أربع دراسات وهي دورية فصلية تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت، كما شملت المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية علي أربع دراسات وهي مجلة علمية محكمة تلت سنوية تصدر عن الجامعة الأردنية، وقد جاء بالمجلة الاجتماعية القومية ثلاث دراسات وهي مجلة تلت سنوية محكمة يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، وشملت مجلة العلوم الاجتماعية علي أربع ثلاث دراسات وهي دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، كما شملت مجلة العلوم الإنسانية بالبحرين علي دراسة واحدة وهي دورية علمية محكمة نصف سنوية تصدرها جامعة البحرين. وجدير بالإشارة أن هناك ملحق في نهاية البحث به توثيق للدراسات التي تم تحليلها.

ثالثاً: نتائج التحليل الثانوي للنظرية الاجتماعية في بحوث المجتمع الافتراضي

ثمة مجموعة من المؤشرات المورفولوجية التي تعد بمثابة ميكروسكوب فحص وتشريح لنتائج التحليل في الدراسة الراهنة. وفي هذا الشأن ذهب فليب جونز (2010) في كتابه عن النظرية الاجتماعية والممارسة البحثية أن الحكم علي مدي ملائمة النظرية مع موضوع البحث يتوقف علي عدد من العناصر أولها النموذج أو البراديم الذي تستند عليه النظرية والذي يشمل علي الصياغة التصورية المرتبطة بالظواهر التي تقوم النظرية بتفسيرها، وثانيها يرتبط بالمفاهيم التي ترتبط بهذا النموذج أو البراديم، وثالثها مرتبط بتحديد العلاقة بين المفاهيم في صورة متغيرات، ويشتمل كل متغير علي عدد من المؤشرات الإمبريقية، ورابعها مرتبط بمناهج البحث الإمبريقية لاختبار العلاقات بين المتغيرات والمؤشرات، وخامسها مرتبط بتحليل البيانات في ضوء الفروض الأساسية للنظرية، وسادسها مرتبط بتفسير البيانات في ضوء بناء النظرية¹².

من هذا المنطلق فإن التحليل الراهن سوف يعتمد بالأساس علي العناصر التالية:

- 1- مورفولوجيا الأطر النظرية في بحوث المجتمع الافتراضي والإنترنت .
- 2- خطابات النظرية والمنهج.
- 3- خطابات التحليل والتفسير.
- 4- قراءة في المصادر والمراجع .

1- مورفولوجيا النظرية في بحوث المجتمع الافتراضي والإنترنت: يعد التحليل المورفولوجي أحد نماذج التحليل الذي دخل إلي العلوم الاجتماعية من خلال علم البيولوجي، وبتد التحليلات المورفولوجية في مناحي عديدة من العلوم الاجتماعية منذ القرن التاسع عشر، وهذا المفهوم يقصد به تحليل الشكل والبنية، واستخدم في العديد من التحليلات اللغوية والبعض صاغ من هذا المفهوم نظرية وخصوصاً في العلوم اللغوية. إلا أن المورفولوجيا في علم الاجتماع تستخدم كمرجعية لتحليل النماذج النظرية من حيث الشكل البنية. وفي خضم عرض النتائج سوف يركز التحليل المورفولوجي علي ثلاث عناصر أساسية الأول يتمثل في الشكل والثاني في مستوي التحليل النظري والثالث مرتبط ببنية النظريات المستخدمة في البحوث المراد تحليلها ويمكن عرض ذلك من خلال السياق التالي¹³:

أ: خطاب الشكل: يسعى هذا الجزء من عرض النتائج إلي الإجابة علي سؤال مؤداه ما مدي اعتماد الدراسات التي تم تحليلها علي نظرية موجهة للبحث، أو مقولات نظرية تم الاعتماد عليها في تفسير النتائج؟ وجدير بالإشارة هنا القول بأن اللجوء إلي الجداول الكمية في منهجية التحليل الثانوي علي الرغم من كونها منهجية كيفية هو أمر مشروع ؛ ويمكن التأكيد بما ذهبت إليه دراسة وليمز ترينتوني وديانا شيفيرد (2015) Trentona , Shepherd حيث أشارا إلي أن منهجية التحليل الثانوي تنطوي علي مرونة تحويل البيانات الكيفية إلي بيانات كمية، مع التأكيد أن هذا التكميم يسهم في إثراء عملية التحليل¹⁴. في هذا السبيل سوف يقدم الجدول التالي لعدد الدراسات التي اعتمدت علي نظريات أو مداخل نظرية.

جدول (2)

مدي الاعتماد علي النظرية في الدراسات التي تم تحليلها

مدي الاعتماد علي نظرية أو مداخل نظرية	عدد
دراسات اعتمدت علي مداخل نظرية	18
دراسات لم تعتمد علي مداخل نظرية	12

باستعراض الدراسات التي تم تحليلها، تبين أن هناك ثمان عشر دراسة اعتمدت علي إطار نظري موجه لها، في حين أن هناك اثنتا عشر دراسة لم يوجد بها إطار نظري.

ب: مستوي التحليل: بتأمل الدراسات التي اعتمدت علي إطار نظري يتبين أن ثمة مستويات مختلفة للتظير الذي استخدم في تلك الدراسات تراوحت ما بين النظريات الكبرى - تظير علي المستوي الماكرو - ودراسات أخرى اعتمدت علي مفولات نظرية أو نظريات صغري - تظير علي المستوي الميكرو - ويحاول الجدول التالي أن يوضح مستويات التحليل التي اعتمدت عليها الدراسات التي تم تحليلها.

جدول (3)

مستويات التحليل النظري

مستوي التحليل	عدد
ماكرو	13
ميكرو	13

يتبين من خلال قراءة معطيات الجدول أن هناك خمسة وعشرون مقاربة نظرية علي المستوي النظري تجلت من خلال الدراسات الثماني عشر، منهم ثلاثة عشر نظرية علي المستوي الميكرو، وثلاثة عشر نظرية علي المستوي الماكرو. ولعل ما يبرر تعدد المقاربات النظرية هو اعتماد عدد من الدراسات علي أكثر من مدخل نظري في الدراسة الواحدة.

ج: البنية المورفولوجية للنظريات محل التحليل: كما تم الإشارة فإن التحليل يسير علي دربين أحدهما ماكرو والأخر ميكرو، وفي هذا العنصر سوف نحاول التعرف علي بنية التحليل علي كلا المستويين من خلال السياق التالي :

■ **التحليل المورفولوجي لبنية النظريات المستخدمة علي المستوي الماكرو:** من خلال الدراسات تبين أن هناك عدد من المداخل النظرية التي استخدمت كموجهات للبحث، تراوحت هذه النظريات بين الإعلام وعلم الاجتماع ، وجزير بالإشارة أن هناك العديد من الدراسات الاجتماعية تعتمد علي مداخل إعلامية بالأساس كما أن هناك بعض الدراسات الإعلامية تعتمد علي مقاربات اجتماعية. ونلاحظ من خلال التحليل أن هناك سبع دراسات اعتمدت علي نظرية الاستخدامات والشباعات. فقد استخدمت دراسة "الهوية الرقمية للشباب : بين التمثلات الاجتماعية والتمثل الذاتي " هذه النظرية وتحدثت عن مدخل نظري الاستخدامات والشباعات، ثم تحدثت عن تاريخ تطور نظرية الاستخدامات والشباعات، ثم عرجت إلي

فروض نظرية الاستخدامات والشبكات. أما الدراسة الثانية حول "تأثير استخدام الشباب الجامعي في الجامعات البحرينية لمواقع التواصل الاجتماعي علي استخدامهم وسائل الاتصال التقليدية" فقد استخدمت أيضاً نظرية الاستخدامات والشبكات بالتركيز علي الدوافع النفعية والدوافع الطقوسية والدوافع الاجتماعية، والدوافع المتعلقة بوسائل الإعلام. وقد اعتمد علي هذه النظرية أيضاً الدراسة المعنونة "بمواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية بين الإستيمولوجيا والإيديولوجيا" وفرقت هذه الدراسة بين اشباعات المحتوى والاشباعات العملية والاشباعات التوجيهية وشبه التوجيهية والاجتماعية وشبه الاجتماعية. وقد اعتمد دراسة "دور مواقع الإنترنت في إمداد الحجاج والمعتمرين بالمعلومات الخاصة بمناسك الحج والعمرة واتجاهاتهم نحوها" علي هذه النظرية وعرضت الدراسات السابقة في ضوء هذه النظرية كما تحدثت هذه الدراسة عن الاتجاهات الحديثة في بحوث الاستخدامات والشبكات والتي صنفتها إلي اتجاه يهتم بالربط بين دوافع الاستخدام وسلوكيات الوسيلة الإعلامية، واتجاه يهتم بدراسة العلاقة بين دوافع الاستخدام وسلوكيات الوسيلة واتجاهاتها، واتجاه يهتم بتبادل العوامل النفسية والاجتماعية علي استخدام الأفراد لوسائل الإعلام. واستخدمت دراسة "استخدام المتزوجات العاملات في الجامعات الأردنية للفييس بوك والاشباعات المتحققة منه : دراسة مسحية علي عينة من جامعة اليرموك " نظرية الاستخدامات والشبكات وربطت هذه النظرية بين هذا المدخل ومفاهيم الدراسة حيث عرفت الاستخدام والاشباعات وعرفت الاشباعات العملية واشباعات المحتوى. واعتمد أيضاً علي هذه النظرية دراسة " شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بحقوق الإنسان : أراء عينة من طلاب الجامعات حول اسهام شبكات التواصل الاجتماعي في تدعيم حقوق الإنسان". كما اعتمد علي هذه النظرية أيضاً دراسة "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تحقيق احتياجات الشباب الأردني" .

وعلي المستوي الماكرو أيضاً اعتمدت دراستين علي نظرية التبعية ؛ أحدهما بشكل غير مباشر وهي دراسة "محددات النفاذ إلي مجتمع المعلومات :دراسة ميدانية علي عينة جامعية" حيث أشار في التحليلات الختامية إلي أن نظرية التبعية تخدم في عملية التحليل وربط بينها وبين عملية التنمية الاجتماعية . كما اعتمد علي هذه النظرية بشكل مباشر دراسة "العولمة والتحديات الاجتماعية الثقافية لسوق العمل لدي الشباب في مجال التسوق الشبكي : بحث اجتماعي ميداني" حيث حاولت أن تفسر من خلال النظرية تأثير النظام الرأسمالي علي مجتمعات العالم الثالث .

وقد برز علي المستوي الماكرو أيضاً تجلي للنظرية الوظيفية في علم الاجتماع في دراستين: الأولى " مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية بين الإستيمولوجيا والإيديولوجيا" حيث اعتمدت هذه الدراسة علي تحليل مفهوم الدور من النظرية الوظيفية، واعتمد علي هذه النظرية أيضاً دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة : تحليل سوسيولوجي حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت والدونات" حيث عرضت لفكرة النظم الاجتماعية عند دور كايم وذلك من خلال التأكيد بأن ثمة صلة بين التنظيم الاجتماعي الإلكتروني وفهمه، فقد اعتقد دوركايم أن النظم الاجتماعية مثل العائلة والتعليم والاقتصاد والنظم السياسية والدينية هي التي تحدد السلوك الإنساني، وأشارت الدراسة إلي أن بعض المهتمين من علماء الاجتماع يرون أن هذه النظم موجودة في الفضاء الافتراضي.

ونجد علي مستوي التحليل الماكرو أيضا ظهور لنظريات الحداثة وما بعدها في علاقته بالإنترنت ويدا ذلك في دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة : تحليل سوسيولوجي حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت والدونات" حيث أشارت هذه الدراسة إلي المقولات النظرية المفسرة لمجتمع المعرفة العالمي بالتركيز علي ثلاث عناصر أساسية الأولى مرتبطة بمقولات العولمة والثانية مقولات الحداثة بالتركيز علي فكرة الحداثة عند فرانكفورت وهابرماس وجينز والثالثة مقولات ما بعد الحداثة في بعدها الثقافي. وقد اعتمدت أحد الدراسات من مجال الخدمة الاجتماعية والتي جاءت بعنوان "استخدام طالبات الجامعة لمواقع التواصل الاجتماعي: الأثار المترتبة علي استخدام طالبات الجامعة لمواقع التواصل الاجتماعي ودور الخدمة الاجتماعية والاختصاصيات الاجتماعيات بجامعة الأميرة نورة" علي نظرية من النظريات الكبرى في علم نفس التعلم وهي نظرية التعلم الاجتماعي , واعتمدت بصفة خاصة علي النموذج المعرفي المتمثل في أن المدخلات التي نحصل عليها من البيئة تعد هي الوسط الذي نحصل منه علي أكبر قدر من المعرفة, كما صاغت بناء علي هذه النظرية إستراتيجية للتدخل تتضمن محورين يسمي الأول بالاستعراض المعرفي ويشتمل علي عمليات التقدير الكلي ثم إحداث تغيرات فيما يتعلق بسوء توظيف الأفكار والمعتقدات, والثاني يتمثل في إعادة البناء المعرفي ومساعدة العمل علي اكتساب جوانب معرفية جديدة لتحل محل الأفكار والمعارف الخاطئة.

● **التحليل المورفولوجي لبنية النظريات المستخدمة علي المستوي الميكرو:** هناك العديد من الأطر النظرية علي المستوي الميكرو تم استخدامها في دراسات المجتمع الافتراضي وبحوث الإنترنت فقد اعتمدت دراسة "التدوين الإلكتروني كفعل ثقافي: دراسة تحليلية علي عينة من المدونات الإلكترونية علي نظرية الفعل الاجتماعي social action حيث نظرت هذه الدراسة إلي الثقافة علي أنها فعل اجتماعي واعتمدت علي مفهوم الفعل الثقافي. وقدمت دراسة" اتجاهات بحوث الإعلام الإلكتروني في الجزائر من السنوات 2005 إلي 2010 " إطار نظري يعتمد علي مراحل تطور بحوث الإعلام وأهمية بحوث الإعلام وأهدافها, والضبط كهدف لبحوث الإعلام . أما دراسة" الهوية الرقمية للشباب بين التمثلات الاجتماعية والتمثل الذاتي" فقد اعتمدت علي مقارنة التمثلات الاجتماعية social representation وتركز اهتمامها علي العالم سيرج موسكوفيسي Serg Moscovici وانبتق عن هذه المقاربة الصغري محورين: الأول تكلم عن الكبار والتمثل الاجتماعي لصورة الشباب الرقمي شرح فيها تمثلات الشباب في المضامين الترفيهية والإعلانات والمضامين الإعلامية وتمثلات الشباب في المقاربات البحثية الأكاديمية, أما المحور الثاني فتحدث عن الشباب والتمثل الذاتي للهوية الرقمية تحدث فيها عن تمثّل جيل الإنترنت للهوية الرقمية وتلقي الشباب لخطابات الكبار والخطاب الإعلاني والأكاديمي. واعتمدت دراسة " مواقع الشبكات في المنطقة العربية بين الإستيمولوجيا والإيديولوجيا علي مقارنة الاستقراء كأحد المقاربات التي استخدمها في الحصول علي الدراسات ونقدها. وفي دراسة" اتجاهات ممارسي العلاقات العامة نحو استخدام الإنترنت: دراسة علي المؤسسات البحرينية" ؛ تم الاعتماد علي اتجاهين نظريين علي المستوي الميكرو: الأول هو نموذج جيمس جرونج ؛ والذي قدم أربع نماذج أولها نموذج الوكالة الصحفية والذي يري أن المعلومات تتحرك في اتجاه واحد من أعلي إلي

أسفل، والثاني يتمثل في نموذج الإعلام العام فيه يتدفق الاتصال من المنظمة إلي الجمهور، والثالث النموذج غير المتماثل يتدفق فيه الاتصال من المؤسسة إلي الجمهور، والرابع النموذج المتماثل والذي يري أن للمؤسسة الاستعداد في التغيير وفقاً لمطالب البيئة الخارجية. كما اعتمدت هذه الدراسة علي نظرية من النظريات الصغري تسمى نظرية الحوار Dialog theory طرح خلالها لمجموعة من المقولات المرتبطة بالتبادلية والتواصل والمخاطرة والالتزام.

وعلي المستوي الميكرو أيضاً نجد أن دراسة " التسوق المتصل بقضايا المجتمع علي شبكة الإنترنت في مصر" اعتمدت علي إطار نظري حول المسئولية الاجتماعية وبعض الأفكار المرتبطة بها علي المستوي التقليدي. وبالإضافة إلي الأطر النظرية المرتبطة بالعوامة والحادثة وما بعد الحادثة فقد اعتمدت دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة: تحليل سوسيولوجي حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت والمدونات" علي النظرية الدرامية عند جوفمان كأحد النظريات التي يمكن من خلالها تفسير واقع الثقافة الإلكترونية لدي الشباب. كما اعتمدت الدراسة علي بعض المقولات المرتبطة بعلم الاجتماع الآلي. وقدمت دراسة " آراء عينة من طلاب الجامعة حول استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في تدعيم حقوق الإنسان" علي توجه نظري مساند لنظرية الاستخدامات والاشباعات تقوم علي التأثير قصير المدى للإعلام والتأثير طويل المدى. كما قدمت دراسة الشباب والإنترنت مقارنة للاستخدامات والاتجاهات عند طلبة جامعة الكويت" مقاربات نظرية جزئية تتمثل في مقارنة المشكلات الاجتماعية ومقارنة حقوق الشباب ومقارنة اتجاهات الشباب.

2- **خطابات النظرية والمنهج**: ثمة علاقة في مناهج البحث وبين التوجهات النظرية والمناهج المستخدمة في الدراسة، وهذا البعد يصعب إغفاله عند الحديث عن تحليل ثانوي للأطر النظرية المرتبطة ببحوث الإنترنت، وفي هذا المقام يرصد الجزء التالي لطبيعة الدراسة والمنهج المستخدم فيها والأدوات والعينة كمقاربة تحليلية ثم نعود لتناول ذلك في إطار المقاربة النقدية. ويوضح الجدول التالي طبيعة الدراسات التي تم تحليلها .

جدول (3)

طبيعة الدراسات التي تم تحليلها

نوع الدراسة	العدد
ميدانية	18
نظرية	10
تحليلية	1
ميدانية وتحليلية	1

يتضح من خلال الجدول أن هناك ثمانية عشر دراسة ميدانية، وعشر دراسات نظرية، ودراسة اعتمدت علي تحليل المضمون ودراسة جمعت بين تحليل المضمون والدراسة الميدانية. وعند البحث عن المنهج المتبع في الدراسات الميدانية ندرك أن هناك سبعة عشر دراسة اعتمدت بشكل أساسي علي

منهج المسح الاجتماعي، وهناك دراسة اعتمدت علي تحليل مضمون بعض المواقع والمدونات ودراسة جمعت بين منهج المسح الاجتماعي وتحليل مضمون للمدونات. وحول الأدوات نجد أن أغلب الدراسات اعتمدت علي استمارة الاستبيان كأداة لجمع البيانات حيث تبين أن هناك ستة عشر دراسة اعتمدت علي جمع البيانات من خلال تصميم استمارة استبيان، وهناك دراسة اعتمدت علي تصميم دليل للمقابلة لجمع البيانات ودراستين أحدهما اعتمدت علي استمارة لتحليل المضمون والأخري اعتمدت علي الجمع بين الاستبيان وتحليل المضمون الكيفي. وحول عينة البحث وفئاته تبين من خلال التحليل أن أغلب الدراسات تم تطبيقها داخل الجامعة سواء علي طلاب أو أساتذة أو عاملات فهناك ثلاث عشر دراسة اعتمدت علي عينات من الجامعة منها إحدى عشر دراسة اعتمدت علي تطبيق استمارة استبيان علي الطلاب، ودراسة طبقت علي الأساتذة ودراسة طبقت علي العاملات في الجامعة، كما أتضح أيضاً أن هناك أربع دراسات طبقت علي جمهور عام، ودراسة طبقت علي موقعين من المواقع العربية، وأخري طبقت علي الأطفال وواحدة علي المؤسسات. من هنا يتضح أن أغلب الدراسات غلب عليها الطابع الكمي باستثناء دراسة " التدوين الإلكتروني كفعل ثقافي: دراسة تحليلية علي عينة من المدونات الإلكترونية" حيث اعتمدت علي تحليل المضمون بطريقة كيفية وكذلك دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة: تحليل سوسيولوجي حول استخدام الشباب للإنترنت والمدونات" والتي اعتمدت علي تحليل المضمون الكيفي.

3- **خطابات التحليل والتفسير:** لاشك أن الغرض الأساسي من استخدام النظرية في البحوث الاجتماعية يتمثل التوظيف في عملية تفسير النتائج. وعند استعراض استخدام الأطر النظرية في تفسير وتحليل النتائج نجد أنها ظهرت في دراسة "محددات النفاذ إلي مجتمع المعلومات: دراسة ميدانية علي عينة جامعية" فقد حلت نتائجها في ضوء أفكار البناء الاجتماعي والمنظور الثقافي، وذلك علي الرغم من أنه لم يعتمد علي هذه المنظورات عند طرح إطاره النظري. وفي دراسة "استخدام المتروجات العاملات في الجامعة الأردنية للفييس بوك والشباعات المتحققة منه: دراسة مسحية لعينة من جامعة اليرموك" تذهب إلي تفسير النتائج في ضوء نظرية الاستخدامات والشباعات حيث تحدث في النتائج عن اشباعات مراقبة البيئة واشباعات المشاركة مع الرأي الأخر، واشباعات التفاعل الاجتماعي واشباعات التسلية. وذهبت أيضاً دراسة "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تحقيق احتياجات الشباب الجامعي الأردني" فقد استخدمت نظرية الاستخدامات والشباعات في تحليل النتائج حيث صممت هذه الدراسة ضمن أدواتها مقياس لقياس الاستخدامات والشباعات وتم التحليل في ضوءها. كما فسرت دراسة "اتجاهات ممارسي العلاقات العامة نحو استخدام الإنترنت: دراسة علي المؤسسات البحرينية" نتائجها في ضوء الإطار النظري حيث تم الاعتماد علي المقاربات النظرية في مناقشة النتائج. وقد فسرت دراسة " دور مواقع الإنترنت الحديثة في إمداد الحجاج والمعتمرين بالمعلومات الخاصة بمناسك الحج والعمرة واتجاهاتهم نحوها" بعض النتائج في ضوء نظرية الاستخدامات والشباعات وخصوصاً تلك التي كانت تتعلق بجداول تماس الشباعات والاستخدامات.

4- **قراءة في المراجع والمصادر:** نستنتج من التحليل الثانوي للدراسات التي تناولت المجتمع الافتراضي بشكل خاص والإنترنت بشكل عام ثلاث ملاحظات أساسية فيما يتعلق بخطاب المراجع والمصادر الأولي: تتعلق بالمصادر الأساسية في النظرية حيث يدرك المتأمل في هذه الدراسات التي تم تحليلها أن ثمة اعتماد زهيد علي المراجع الأساسية حيث لم يبدو ذلك بوضوح سوي في دراسات قليلة منها دراسة " محددات النفاذ إلي مجتمع المعلومات : دراسة ميدانية علي عينة جامعية " ودراسة " اتجاهات ممارسي العلاقات العامة نحو استخدام الإنترنت : دراسة علي المؤسسات البحرينية" والتي اعتمدت علي مصدر أساسي عند الحديث عن نظرية الحوار ونماذج جيمس جرونج النظرية , وثمة بعض المراجع الأساسية ظهرت في دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة : تحليل سوسيولوجي حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت والمدونات". أما الثانية فتتمثل في كثرة الاعتماد علي المصادر الثانوية، فعالية الدراسات التي تم تحليلها إما اعتمدت علي مصادر غير أساسية أو تعتمد في اقتباسات النظرية من دراسات ميدانية ذات صلة بالنظرية المقتبسة. أما الثالثة فتتمثل في قلة الاعتماد علي المراجع الأجنبية في حين تم الرجوع إلي مؤلفات عربية في النظرية مع الأخذ في الاعتبار أن معظم مرجعياتها ليست سوسيولوجية ولكنها إعلامية ؛ ولعل هذا يتناسب مع كثرة الاعتماد علي نظرية الاستخدامات والشباعات. حتي الدراسات التي اعتمدت علي نظريات سوسيولوجية مثل نظرية التبعية ومدخل الفعل الاجتماعي والنظرية الوظيفية لم تقدم مراجع أصيلة في الموضوع ولكنها ارتبطت بمصادر ثانوية .

رابعاً: النظرية في دراسات المجتمع الافتراضي ... مقارنة النقدية

أشار الإطار المنهجي للبحث إلي الاعتماد علي المقارنة النقدية كمساندة لمنهجية التحليل الثانوي، وفي هذا الإطار تسعى إلي توظيف هذه المقارنة في الوقوف علي الدلالات النقدية للنظرية الاجتماعية في بحوث المجتمع الافتراضي وذلك من خلال العناصر والمؤشرات التالية :

1- **الأطر النظرية لبحوث المجتمع الافتراضي ... البحث عن براديم جديد:** أشار ماكس هوركهايمر إلي القول بأن النظرية الاجتماعية تمثل مجموعة من القضايا المتعلقة بميدان المجتمع، وكلما اقتربت النظرية من القدرة علي تفسير الواقع كلما اقتربت من الصحة، كما أشار إلي أن مصداقية النظرية بالنسبة للواقع تقتضي أن تكون القضايا المستنبطة من تلك المبادئ مطابقة للأحداث والمعطيات الواقعية¹⁵. وعند تطبيق هذه المقارنة النقدية لهوركهايمر علي وضعية النظريات الاجتماعية المطبقة في دراسات المجتمع الافتراضي نجد ثمة أزمة في عملية ربطها بالواقع. إذ أن المجتمع الافتراضي مرتبط بطبيعة الحال بسياقات اتصالية وفضاءات مختلفة عن فضاءات الواقع في التفاعل. الأمر الذي يقتضي تفسيرات نظرية تتواءم مع هذا التحول؛ إلا أن التمسك بالبراديم الكلي ما زال هو السائد في معظم البحوث العربية. إذ أن نتائج التحليل الثانوي أكدت أن معظم المداخل النظرية سواء في الإعلام أو علم الاجتماع مستمدة من نظرية الاستخدامات والشباعات، وبعض الإشارات لنظريات أجنبي علي استحياء. كما تبين أن هناك أثني عشر دراسة من الدراسات التي تم تحليلها لم تعتمد بالأساس علي مداخل نظرية. كما ندرك أيضاً حضور

للوظيفية عند دوركايم والدرامية عند جوفمان والفعل الاجتماعي، وكلها تقدم تفسيرات مقبولة في سياقات الواقع إلا أن الأمر في المجتمع الافتراضي في حاجة إلى مرونة تفسيرية تتخطى دوجماتية النظريات الكبرى خاصة بعد أن أسقطت ما بعد الحداثة السرديات وياتت النظريات تتحرك علي مرجعية نسق عالمي من ناحية ومجتمعات قومية ومحلية من ناحية أخرى. ولعل هذا ما لم تؤكد عليه سوي دراسات محدودة منها دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة: تحليل سوسولوجي حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت" عندما اعتمدت علي مدخل العولمة. وفي سياق متصل تشير واقع النظريات الغربية أن ثمة اعتماد علي مداخل نظرية جديدة منها ما اعتمد عليه كاستيلز في المجتمع الشبكي، ومنها ما اعتمد عليه دالبرج في الاتصال العقلائي والمجال العام الافتراضي وغيرها من النظريات والمقاربات المفسرة لتفاعلات المجتمع الافتراضي.

2- المفاهيم كإطار نظري وخطاب البديهيات: أشارت نتائج التحليل الثانوي فيما يتعلق بالمفاهيم المستخدمة في الدراسات العربية التي تم تحليلها إلي مفارقتين الأولى: تشير إلي أن تحديد المفاهيم لم ينطلق من المرجعية النظرية الموجهة للبحث، ولكن المفاهيم كانت تستمد من عناوين الدراسة، حتي ابسط المسلمات كانت تعرف علي سبيل المثال تم تعريف أستاذ الجامعة والطالب ليس بشكل اجرائي فحسب ولكن بشكل نظري أيضا الأمر الذي يثير مجموعة من التساؤلات حول الوظيفة الأساسية للنظرية؛ فمن المفترض أن تمارس النظرية دورها في هذا السبيل. أما المفارقة الثانية تثير الخلط بين المفاهيم والإطار النظري، حيث ذهبت بعض الدراسات إلي اعتبار المفاهيم هي الإطار النظري ذاته؛ ونستدل علي ذلك بدراسة " دوافع تردد الشباب علي مقاهي الإنترنت دراسة ميدانية علي شباب مدينة وهران" فقد قدمت مفاهيم الإنترنت وخدمات الإنترنت، وأسباب الدخول إلي الإنترنت، ومخاطر مقاهي الإنترنت علي أنها الإطار النظري للبحث. كما اعتمدت دراسة "مدي فاعلية تقنيات الجيل الثاني للتعليم الإلكتروني في التدريس الجامعي من وجهة نظر اختصاص تكنولوجيا التعليم والمعلومات" علي مفهوم التعلم الإلكتروني كإطار نظري، وعرفت أيضا مجموعة من المفاهيم علي أنها تمثل الإطار النظري وتتمثل هذه المفاهيم في الويب 2 وتقنيات الجيل الثاني للتعليم التفاعلي والتطور التعليمي والأستاذ الجامعي. كما شخصت دراسة "محددات النفاذ إلي مجتمع المعلومات: دراسة ميدانية علي عينة جامعية" بعض المفاهيم علي أنها إطار نظري وهي مفهوم مجتمع المعلومات، ومجتمع المعلومات في مصر ومجتمع المعلومات في علاقته بالتنمية والتعليم. واعتمدت أيضا دراسة "الدين والإعلام الجديد: دراسة ميدانية علي عينة من مستخدمي الفيسبوك" علي المفاهيم كإطار نظري وركزت علي مفاهيم الدين والإعلام الجديد والفيس بوك.

3- فجوة النظرية والمنهج: ذهب جون هيجيس ووبي شاروك Hughes , Sharrok (2007) في كتابهما حول النظرية والمنهج في علم الاجتماع إلي عنوان مؤداه "نقد الفجوة بين النظرية والمنهج": وأشار خلال هذا العنوان إلي أن الفجوة بين النظرية والمنهج شيء معيب للغاية في علم الاجتماع حيث يقود إلي معالجة القضايا بشكل مشوه، والمزاوجة بين النظرية والمنهج تسهم في الفهم الشامل للحياة الاجتماعية¹⁶. وفي خضم التحليل الثانوي لبحوث المجتمع الافتراضي نجد أن هناك فجوة بين النظرية والمنهج، ومقتضي هذه الفجوة أن هناك ثماني عشر دراسة ميدانية اعتمدت سبعة عشر منها علي منهج

المسح الاجتماعي عدا دراسة واحدة اعتمدت علي تحليل المضمون، ودراسة زاوجت بين المسح الاجتماعي وتحليل المضمون. وبمقاربة نقدية يمكن القول أن هناك تطور كبير في بحوث المجتمع الافتراضي والمناهج المتبعة في بحوثه فقد بات هناك تكتيك للمسوح الافتراضي ودراسة الحالة الافتراضية، والأنتوجرافيا الافتراضية والأنتوميثولوجيا الافتراضية وتحليل المضمون الافتراضي... وغيرها. والمتأمل للتراث الغربي يدرك مدي حضور هذه المنهجيات بقوة في الأدبيات، بل نجد أن هناك مؤلفات خالصة عن مناهج البحث في الإنترنت، فلم تستفيد أي دراسة من الدراسات التي تم تحليلها من هذا التراث المرتبط بالمنهجيات الجديدة الأمر الذي دفعنا إلي صياغة العنوان بأن ذلك الأمر يمثل فجوة بين النظرية والمنهج. ويزداد الأمر تعقيداً عندما نتحدث عن العينات التي تم إجراء البحث عليها فمعظمها علي طلاب الجامعة والعاملين في الجامعة ويكفي أن نقول أن هناك اثني عشر دراسة أجريت علي طلاب وعمال الجامعة من أصل ثماني عشر دراسة الأمر الذي يثير الأهتمام بالقول بأن سهولة الحصول علي الزبون دفع لهذا النمط من العينات؛ علي الرغم من أن الأدبيات والبحوث الغربية تتحرك في العينات علي مرجعيات افتراضية بالأساس حتي تكون ممثلة لهذا المجتمع الذي تقوم بدراسته، وهذا ما لم نلاحظه في الدراسات العربية.

4- المقاربة النقدية للتفسير والتحليل: في الدراسة التي قدمها Andrew Feenberg حول النظرية النقدية والتكنولوجيا (2005) اعتبر النظرية الاجتماعية مجرد أدوات يجب أن يتم التحليل في إطارها علي مستويين الأول المستوي الوظيفي للعلاقة مع الواقع، والثاني مستوي التصميم والتنفيذ¹⁷. وسوف تحاول المقاربة النقدية في هذا السياق أن تركز علي المستوي الأول والمتعلق بوظيفة النظرية كأدوات في التفسير. فقد اعتمدت معظم التفسيرات والتحليلات للجدول علي خطاب الأرقام فقط، وهناك بعض الدراسات اعتمدت علي التفسير في ضوء المقارنة مع الدراسات السابقة. وقد ظهر التفسير في ضوء نظرية الاستخدامات والاشباع في بعض الأحيان خصوصاً في الجداول التي تم تضمينها في استمارة البحث حول الاستخدامات والاشباع. وثمة مفارقتين من منظور المقاربة النقدية الأولي: تخص دراسة الآثار السلبية للمتريدين علي مواقع التواصل الاجتماعي إذ أن هذه الدراسة أشارت في النهاية إلي إطار نظري حول مراحل العلاج المعرفي؛ يتضمن مراحل معرفية وانفعالية وسلوكية، ولعل مكان هذه التحليلات النظرية في نهاية البحث يثير مجموعة من التساؤلات حول الدور الذي يمكن أن تؤديه النظرية الاجتماعي في مسيرة البحث، فمكانها غير مجدي في عمليات التحليل والتفسير ويفقد الإطار النظري دوره كموجه للبحث. وفي مفارقة ثانية لدراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة: تحليل سوسيولوجي حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت والمدونات" فقد اعتمدت هذه الدراسة علي أطر نظرية متعددة تتضمن العولمة ومقولاتها والحداثة وما بعد الحداثة والنظم الاجتماعية عند دور كايم والدرامية عند جوفمان ومقولات علم الاجتماع الآلي، وعلي الرغم من هذا الزخم النظري إلا أنه لم يظهر في التحليل الأمر الذي يثير تساؤل حول دواعي استخدام هذه الأطر النظرية.

5- **المراجع علي خلفية المقاربة النقدية:** عند استعراض نتائج التحليل الثانوي حول المراجع والمصادر المتبعة في توثيق الأطر النظرية ندرك أربع ملامح نقدية تشير الأولى: إلي أن الاعتماد علي المصادر الثانوية بدا أكثر من الاعتماد علي المصادر الأساسي فمعظم المراجع مقتبسة من دراسات ميدانية وليس من مصادر نظرية. والثانية : مرتبطة بإعادة إنتاج المراجع في معظم الدراسات إذ أن هناك اعتماد علي ثلاث مراجع عن النظرية ظهوروا بشكل متكرر في كل الدراسات التي استخدمت نظرية الاستخدامات والاشباكات وهي مراجع عربية بالأساس, والثالثة: مرتبطة بقلة المراجع الأجنبية المرتبطة بالتوجهات النظرية . والرابعة: تشير إلي عدم استخدام مراجع في توثيق النظرية في أحد الدراسات وهي دراسة "الثقافة الإلكترونية في ظل مجتمع المعرفة" حيث أعتمدت علي نظرية النظم الاجتماعية عند دوركايم , والدرامية عند جوفمان دون أي إشارة مرجعية أو توثيق.

خاتمة:

لم تكن هذه الخاتمة مجرد رصد لأبرز النتائج فحسب ولكنها تقدم أيضا محاولة للانطلاق إلي مستقبل مكانة النظرية في بحوث المجتمع الافتراضي. فلقد كشفت نتائج التحليل الثانوي عن نمطية الأطر النظرية المستخدمة التي تم اخضاعها للتحليل الثانوي، كما تبين من النتائج أن الاعتماد علي المداخل الإعلامية كان النمط النظري السائد في كلا من الدراسات الإعلامية والاجتماعية علي حد سواء، وخصوصا نظرية الاستخدامات والاشباع. كما كشفت النتائج أن ثمة دراسات قليلة هي التي اعتمدت علي مداخل نظرية خاصة بالعمولة وما بعد الحداثة، ولا يوجد دراسة اعتمدت علي مقاربات نظرية مستقلة خاصة بالمجتمع الافتراضي، وذلك علي الرغم من أن الأدبيات الغربية تحفل بالعديد من المقاربات النظرية الجديدة التي تسمح لتفسير واقع المجتمع الافتراضي والإنترنت. كما تبين من النتائج الاعتماد علي مناهج تقليدية ولم يوجد دراسة واحدة من الدراسات التي تم تحليلها اعتمدت علي منهجية افتراضية، علي الرغم من بروز تكتيكات منهجية عديدة تتحرك علي مرجعية المجتمع الافتراضي تكشف عنها أروقة الدراسات الغربية وبعض الدراسات العربية. كما كشفت النتائج أن ثمة أزمة في تفسير النتائج حيث الفجوة بين النظرية والتطبيق، فالعديد من الدراسات استخدمت النظرية لمجرد الطرح أو تم اعتبارها جزء من تقاليد الكتابة العلمية، ولم تبدو في التحليل بشكل جلي مما يمكن تفسيره بمقولة أحمد زايد الذهول عن المقاصد؛ فالمقصد التفسيري من النظرية لم يتحقق في معظم البحوث بشكل جدي .

ليس من التقاليد البحثية الحديث عن الأهمية في الخاتمة ولكن يمكن إعادة إنتاج أهمية البحث في هذا الموضوع من أجل الانطلاق صوب المستقبل؛ فهناك حاجة ماسة لعدة اعتبارات أولها: التأكيد علي ضرورة اختيار النظرية المناسبة للبحث ولعل أهم محددات الاختيار هو التخصص الدقيق وطبيعة الموضوع والمفاهيم والأهداف التي يرنو إليها الباحث وربما أيديولوجية الباحث أحيانا تعد مرجعية للتوجه النظري، وثانيها: يتمثل في الحاجة إلي استخدام النظرية في تحليل النتائج الميدانية بشكل تبدو فيه أهمية الأطر النظرية وتوظيفها، وثالثها: ضرورة الاطلاع علي الأدبيات الغربية للوقوف علي أبرز الأطر النظرية، والتعرف علي أبرز المنهجيات الغربية والعمل علي تطويرها وتطويعها وفق ما يتناسب مع الثقافة العربية. وبدون هذه الرؤي سوف تظل دراسات المجتمع الافتراضي تدور في فلك الدراسات التقليدية، وهو الأمر الذي لم يعد مقبول الآن. لعل هذه الدراسة بمثابة محاولة للتبصرة بحقيقة مكانة النظرية في بحوث الإنترنت التي تحتاج إلي ثمة مراجعات نقدية أكثر عمقا في المستقبل .

الهوامش:

- ¹ هوركيمر , ماكس , (الطبعة الأولى 1990) النظرية التقليدية والنظرية النقدية , ترجمة النادي , مصطفى , عيون للمقالات والنشر , ص 5
- ² جولندر , ألفن , (2004) الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي , ترجمة وتقديم علي ليلة , المشروع القومي للترجمة , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , ص ص 30-35
- ³ Cavanagh, Allison ,(2007) Sociology in the age of the internet ,press Open university press , England , pp 27-28.
- ⁴Castells, Manuel, (second edition 2010) the rise of the network society , Wiley black well press , pp 8.
- ⁵ I b d , p 18
- ⁶ Fuchs, Christian ,(2008) internet and society : social theory in the information age ,Routledge press , New York , pp 16-17.
- ⁷ لينكلون دالبرج هو باحث نرويجي في علم الاجتماع تأثر بعالم السياسة الألماني هابرماس , وله العديد من المقالات حول الاتصال الرشيد والمجال العام الافتراضي والماركسية الجديدة .
- ⁸ Marcia ,Finlayson,(And others),(April 1999) Secondary analysis of survey data: A research method with potential for occupational therapists, Canadian Journal of Occupational Therapy, volume 66 , issue 2, pp 83-91.
- ⁹ - P. Johnston, Melissa,(2014) Secondary Data Analysis ; A Method of which the Time Has Come , Qualitative and Quantitative Methods in Libraries (QQML), pp619 –626.
- ¹⁰ Harrison , Rodney , (2013) Heritage Critical Approaches , Routledge press, London and New York , p 8
- ¹¹ Hofkirchner, Wolfgang , (December 2007) , A critical Social Systems View of the internet , Philosophy of the social sciences , volume 37 , number 4, pp 471-500.
- ¹² جونز , فيليب , النظرية الاجتماعية والممارسة البحثية , (2010) ترجمة الخواجة , محمد ياسر , مصر العربية للتوزيع والنشر , القاهرة , ص ص 13-18.
- ¹³ Aronoff,,Mark – Fudoman, Kirten (2014) What is morphology ? , Blackwell publishing , Available at :
<http://www.ucd.ie/artspgs/introoling/Aronoffmorphology.pdf>
- ¹⁴ A.Williams, Trentona ,, A. Shepherd , Dean(215) , Mixed Method Social Network Analysis: Combining Inductive Concept Development, Content Analysis, and Secondary Data for Quantitative Analysis , Organizational Research Methods, October , pp 1-31
- ¹⁵ هوركيمر , ماكس (الطبعة الأولى 1990) النظرية التقليدية والنظرية النقدية ترجمة النادي مرجع سابق, ص 5.
- ¹⁶ Hghes , John –Wes Sharrok (2007) Theory and the methods in sociology : An introduction to sociological thinking and practice , Palgrave Macmillan press , U K , pp 6-8
- ¹⁷ Andrew, Feenberg (winter 2005) Critical theory to technology: An overview , tailoring biotechnologies , volume (1) , issue (1) pp 47-64